# حروبهم ضدّنا: الآتي أعظم!

## انطباعات عربيّة من داخل الولايات المتحدة

. أسعد أبو خليل* .

خَفِّفِ الوطْأَ ما أظنُّ أديمَ الـ
أرضِ إلاّ من هذه الأجساد

**أبو العلاء المعرّي**

### التفجيرات

لم تكن تفجيراتُ ١١ أيلول عاديَّةً، لا من حيث التخطيط، ولا من حيث التنفيذ، ولا من حيث المضاعفات ـ وهي لم تنتهِ بعد. واعتمدت التفجيراتُ على خيال لم نره من قبلُ إلاّ في قصص الخيال العلميّ، حتى إنّ وزارة الدفاع الأميركيَّ دعت إلى اجتماعات مغلقة بعضًا من أشهر كتّاب السيناريو الأميركيّين لمساعدة القوّات المسلّحة على توقّع خيال العدو الجامح. ويُجْمع خبراءُ الإرهاب (وهم على درجات متفاوتة من الغباء والادّعاء والجهل وإنْ كانوا متوحِّدين ـ كلّهم ذكور ـ في عدائهم للعرب وفي إعجابهم بشخص بنيامين نتانياهو الذي يودّون أن ينصِّبوه علينا خبيرًا في شؤون الإرهاب) على فشل الاختصاصيّين الحكوميّين في قراءة خيال العدوّ.

والتفجيرات، من الناحية التقنيّة لا الأخلاقيّة، متقنة إلى درجة الاختصاص العلميّ الفذّ. وفي هذا تذكير بالكتاب الهامّ لمدرسة فرانكفورت الفلسفيّة تحت عنوان **دیالکتیك التنوير**، وفيه إدانةٌ لتعظيم عصر التنوير. فقد أظهرتْ تجربةُ ألمانيا النازيّة طريقةَ استخدام العِلْم ضدّ العِلْم، أو استخدام التقدُّم للتراجع، وفي هذا تناقُضُ الأضداد الديالكتيكيّ؛ كما أنّ في تفجيرات أميركا دلائلَ على العلم ضدّ المدنيَّة والتقدُّم، ودلائل على تحويل التكنولوجيا سلاحًا ضدّ المدنيَّة والبشريّة ـ ففي ضحايا تفجيرات نيويورك مواطنون ومواطنات من ٨٢ دولة. ومحمد عطا (وهو زعيم المجموعة المفترض، وإنْ كان من الضروريّ الشكُّ في ما يَرِدُ في وسائل الإعلام الغربيّة وعلى ألسنة مسؤولي حكومات أميركا وبريطانيا لأنّها تَعْتمد على السياسة لا على القرائن والدلائل) نتاجُ لنظام التعليم الغربيّ العلميّ المحض، واختصاصاتهُ هندسيّةٌ ـ معماريّة. ولم يكن اختيارُ طوابق التفجير في ناطحتيْ مركز التجارة العالميّ عشوائيّاً أبدًا: فالاختيار اعتَمَدَ على تخطيط هندسيّ أراد تقويضَ المبنيَيْن على مَنْ فيهما، وفي هذا محاولة (ناجحة) لإكمال ما لم ينته في تفجير عام ١٩٩٣.

ولم يكن اختيارُ الأهداف صعبَ التوقُّع: فمركز التجارة العالميّ يبدو مرغوبًا من قِبل جماعات أصوليّة تؤمن بمسألة السيطرة اليهوديّة الماليّة، غيرَ عالمةٍ بواقع العرب والمسلمين العاملين في المبنيَيْن، أو بواقع العمّال الباعة اليمنيّين وهم يتّخذون الأرصفةَ متاجرَ بسبب فقرهم.

وهولُ الحدث حقيقيّ، بصرف النظر عن مشاعر العداء الحقيقيّ الذي يكنّه جلُّ العرب للولايات المتحدة، لا لشعبها ـ فالأميركيُّون أفرادًا يَنْعمون بضيافة الدول العربيّة حتى في فلسطين ـ ذلك لأنّ العداء العربيّ للولايات المتحدة سياسيُّ العناصر. والغريب أنّ نظريّات المؤامرة المنتشرة لا تزال تَنْعم بحسن الضيافة في قلوب الكثير من العرب وعقولهم. فكم من العرب صَدَّقوا فعلاً أنّ الموساد كانت وراء التفجيرات وأنّها أفضتْ بسرِّها قبل يوم واحد لأربعة آلاف من اليهود، وكأنّ وكالات الاستخبارات تَسْتطيع فعلاً أن تُفْضي بمكنوناتها إلى الآلاف! لكنّ الظن هذا قائم على عمق التقدير العربيّ للموساد، وأنّها وحدَها قادرةٌ على تنفيذ عمليّة بمهارة فائقة لم تَرْتبط في الأذهان بأعمال العرب العسكريّة (لفساد أجهزتنا العسكريّة واستخباراتها ولاستخدامها لأغراض القمع لا لأغراض التحرير المعلنة مهرجانيّاً).

* ـ أستاذ العلوم السياسيّة في جامعة ولاية كاليفورنيا ـ ستانسلاس وباحث في مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وهو مؤلّف كتاب **بن لادن وطالبان: حرب أميركا «الجديدة» ضدّ الإرهاب**، الصادر حديثًا عن دار نشر سفن كورنرز.

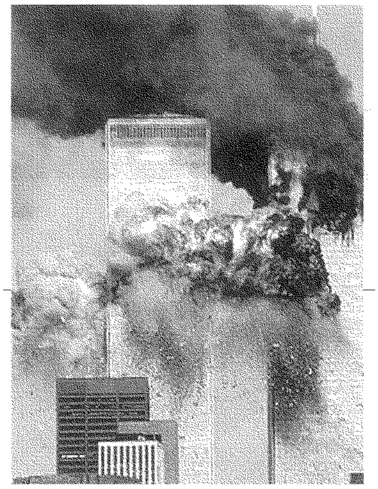

إبداع الخيل العلميّ!

ومن الضـروريّ في هذا المجـال اتّبـاعُ شيء من الشكّ في الأخـذ بالروايات العربيّة عن التفجير، على منوال رواية اليهود الأربعة آلاف المزعومين. ولا بدّ من الشكّ أيضًا في رواية الغرب الذي يصرّ، من دون تقديم براهين، على إدانة بن لادن وعلى تحميله مسؤوليّة آثام ما بعد الحرب العالميّة الثانية وويلاتها! وليس هذا من قبيل تبرئة ذمّة بن لادن وأتْباعه ـ وهم يؤمنون بإقامة إمارة إسلاميّة تُطبَّق فيها تفسيراتٌ مخيفةٌ ومروِّعةٌ للمذهب الوهّابيّ. وما جرى تحت حُكْم الطالبان لا يبشّر بالخير، خصوصًا إذا كان المرء يَخْتلف معهم في الرأي وفي التفسير وفي الجنس.

## تدمير الدستور الأميركيّ، والأميركيّون العرب

لم تنقضِ ساعات على حدوث عمليّة التفجيرات حتى تسارعت الأقوالُ المطالبةُ بإعادة «النظر في الحريّات» على حدّ قول أشهر المذيعين، أو اللجوء إلى التحصُّن بـ «الكذب» على حدّ قول وزير الدفاع الأميركيّ مستشهدًا بقول شهير لونستون تشرشل. وسارع وزيرُ العدل الأميركيّ، وهو أصوليّ مسيحيّ على طريقة طالبان الإسلاميّة، إلى إجراء حركة اعتقالات متسارعة، ضاربًا عرضَ الحائط بأصول الاعتقالات والمحاكمات.

وكان للعرب والمسلمين نصيبُ الأسد، فاعتُقِلَ أكثر من ١٢٠٠ عربيّ ومسلم لايزال معظمُهم في السجون، ولم يتمّ اتّهام أكثرهم بمخالفة سَيْرٍ واحدة، وقُدِّم الباقون للمحاكمة لمخالفات ضريبيّة وأخرى متعلِّقة بقوانين الهجرة. أمّا عن صلة المعتقلين بالإرهاب وبن لادن وبتنظيم القاعدة فهي حتى الآن غير موجودة. وتقول مصادرُ الحكومة نفسُها إنّها تظنّ (أيظنّ؟ كما قالت نجاة الصغيرة يومًا) أنّ نحو عشرة أفراد فقط من الألف والمئتين قد تكون لهم صلةٌ بحركات إرهابيّة. ولا تَعْتقد الحكومةُ أنّ أيّاً منهم كان على علم بالتفجيرات. وقد حوكم شخص أردنيّ (وطَبَّلَتْ له وسائلُ الإعلام وزمَّرتْ وكأنّه كارلوس آخر) وهو اليوم سجين يَقْضي سنوات من عقوبته. أمّا جريمته فهي غيرُ ما قد تتصوَّر (أو تتصوَّرين): فقد ذُعر المسكين عند اعتقاله من الاعتراف بأنّه كان على صلة عابرة بواحد من الخاطفين، فحوكم بتهمة الكذب (والكذب مسموح للرؤساء وكبار الشخصيّات ولكلّ مَنْ لا شعرَ أجعدَ له). وهناك باكستانيّ آخر في الستين من عمره (رفيق بوت) قضى في زنزانته بسكتة قلبيّة نتيجة الخوف. أمّا تهمته فكانت من جرّاء إخباريّة قسّيس رآه يَدْخل عربة «ڤان» كبيرة (ودخول عربات كبيرة وشاحنات وقاطرات ممنوع على العرب والمسلمين). بل إنّ تلميذاً عراقيّاً في أحد صفوفي تعرَّض للتحقيقات من قبل FBI لأنّه يَعْرف قيادةَ الطائرات. وتلميذ سابق آخر لي تعرَّض للتحقيقات لأنّه لم يتورّعْ عن شراء كتب عن الطائرات لشقيقه، وهو طيّار في شركة الطيران اليمنيّة. وهناك طالب سعوديّ تعرَّض للتحقيقات لأنّ جيرانه قدّموا إخباريّة للشرطة بأنّه كان يَحْمل جهازًا مشبوهًا تبيَّن بعد تحرٍّ وتقصٍّ أنّه «أركيلة» [نرجيلة]. وإيّاكم من الأركيلة يا عرب، فهي تثير الرعبَ في قلوب الآمنين والآمنات من سكّان العالم الراقي.

أمّا منظّمات العرب والمسلمين في هذه البلاد فتعاملتْ مع الأحداث بذلّ وخنوع لم يُفِدْ إلاّ في ترسيخ الشبهات بهم. فهذه المنظّمات، الواحدة تلو الأخرى، تنافستْ في تقديم الولاء والطاعة وفي تقديم بيانات الإدانة والاستنكار كلّما دقّت ساعةُ «بغ بن.» وطبعًا، اعتراضُنا على هذه الإدانات لا يَنْبع من مبدإ رفض الإدانة لعملٍ يُمْكن وصفُه بـ «الإرهاب المضاعف» لأنّه استخدَمَ مدنيّين لقتل مدنيّين، بل لأنّ أيّة محاولة لفرض بيانات إدانة خاصّة واستثنائيّة من قِبل العرب والمسلمين هي العنصريّةُ نفسُها. فيجب أن تكون إنسانيّةُ العرب والمسلمين في هذه البلاد محسومة، لا موضوعةً على المحكّ. وليس هناك ما يجب على العرب

. أســـــعـــــد أبو خـلـيـل .

والمسلمين (ذكورًا وإناثًا) الاعتذارُ عنه، اللَّهم إلاَّ إذا أردنا من كل يهوديّ ومن كل مسيحيّ تقديمَ اعتذارات وإدانات عن جرائم كل يهوديّ وكلّ مسيحيّ في أيّ مكان في العالم!

نحن متَّهمون (ومتَّهمات) بأنَّنا لسنا صارمين في موقفنا من الإرهاب لأنَّنا نَقْبل بالعنف الصادر عن بعض العرب والمسلمين، وكأنَّ متَّهمينا غيرُ مهلِّلين ومهلِّلات لعنفهم هم وعنفِ دولةِ إسرائيل. فقد اعترضوا، يا للخبث والوقاحة، على بعض مشاهد التهليل لتفجيرات ١١ أيلول من قبل بعض الصِّبْية العرب، في حين أنَّ هذه البلاد اليوم تغطّي أعمالَ الحرب ضدّ أفغانستان وأهلِها (لا ضدّ الإرهاب المزعوم) بصورة احتفاليَّة مهرجانيَّة. وكيف يلوموننا إذا كنّا غيرَ قابلين لصدقيَّة دور الولايات المتحدة في الحرب ضدّ الإرهاب، في الوقت الذي تبارك فيه الإدارةُ الأميركيَّة إرهابَ إسرائيل في أوائل شهر ديسمبر (كانون الأول) ضدّ أهل فلسطين العزّل؟

وتَسْتخدم الحكومة الأميركيَّة حالةَ الرعب والذعر في أوساط الشعب لتدوس وباستمرار على دستور يَعْلوه الغبارُ والرمادُ منذ أيلول. فهناك نصفُ الأميركيِّين والأميركيّات يَقْبلون (ويَقْبلن) بفرض هويّات خاصَّة على المواطنين والمواطنات من أصل عربيّ. وهناك نحو ٦٣ بالمائة من الشعب يَقْبلون (وَيَقْبلن) بالانتقاص من الحقوق المدنيَّة «مِنْ أجل محاربة الإرهاب.» وكم المفارقة بالغة عندما نرى شبهًا فظيعًا بين شعار «من أجل محاربة الإرهاب» الأميركيّ وشعار حكوماتنا المجوج «من أجل تحرير فلسطين.» ألم نتعرَّض للمهانة والذلّ والتعذيب والقمع تحت شعار «محاربة الكيان الصهيونيّ»؟ واليوم يتعرَّض العرب والمسلمون وكلُّ مَنْ يعارض الحربَ الوحشيَّةَ ضدّ أفغانستان في الولايات المتحدة لمحاولة الانتقاص من الحقوق المدنيَّة. ومن الإنصاف والضرورة التذكيرُ بتلك الأقليَّة الأميركيَّة التي تعارض بجرأة وشجاعة مسلكَ الحكومة داخليّاً وخارجيّاً.

### ظاهرة بن لادن والحرب ضدّ «الإرهاب»

إنّ ظاهرة بن لادن فريدةٌ في تخويفها للغرب وفي تقديمها للإسلام، كذلك «الخطر» الذي وصل إلى أبواب مدينة فيينا مرتين أثناء العهد العثمانيّ، قبل أن يَدْخل (ونَدْخل معه) في سبات عميق لعلّنا لم نُفِقْ منه بعدُ.

وبن لادن عدوّ وجب وجودُه أميركيّاً: فهو يَعْتمر العمامة، ولحيتُه مُطْلقة، ويُصِرّ على ارتداء الزي العربيّ وإنْ كان يرتدي بزّة عسكريَّة – وفي هذا صورة صالحة تمامًا للمصلقات المطلوبين. وهناك سهولة فائقة في استخدام صورته المتكرِّرة لتخويف أهل البلاد المذعورين والمذعورات.

وهو في فلسفته في السياسة الخارجيَّة لا يَخْتلف عن جورج بوش الذي يصرّ «أنَّك معنا أو مع الإرهاب،» وكأنَّ الخيار الثالث (بمعارضة بوش والحرب الأميركيَّة بالإضافة إلى معارضة الإرهاب) ليس خيارًا متفوِّقًا أخلاقيّاً. فبن لادن يقول إنَّ الأحداث قد قسَّمت العالَمَ إلى فسطاطيْنْ، على طريقة دار الإسلام ودار الكفر، وهما لا يَلْتقيان البتّة.

وطبعًا، الأميركيُّون يعلمون عن بن لادن الكثير لأنَّه صنيعتهم قبل أن يكون صنيعتَنا. أَلَمْ يَكُن ربيبَهم هم أثناء الحرب الوحشيَّة ضدّ الحكم الشيوعيّ في أفغانستان؟ أَلَمْ تَكُن العائلة السعوديَّة المالكة وراء الحملة الإسلاميَّة لإطلاق الجهاد في أفغانستان، الأمرُ الذي أَطْلَق العنانَ لأكثر الحركات الإسلاميَّة تطرُّفًا وتزمُّتًا وأصوليَّة؟ أَلَمْ يَكُن الأمير تركي (الذي شغل حتى أسابيع معدودة منصبَ مدير الاستخبارات في السعوديَّة) رائدَ تشكيل الفصائل الإسلاميَّة – العربيَّة التي جنّدها أداةً في يد الاستخبارات الأميركيَّة؟

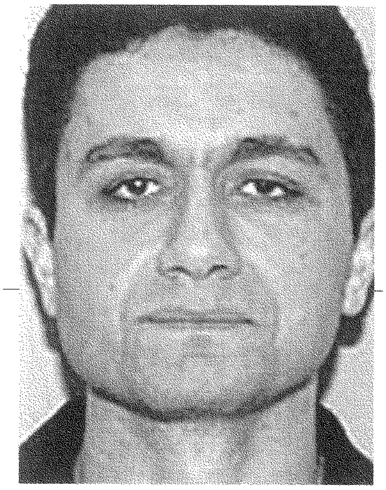

محمد عطا: اختصاصاته هندسيّة ـ معماريّة

وقد ذكرتْ مجلة **الإيكونومست**، وفقًا لمصادر الاستخبارات البريطانيّة، أنّ اتّصالات كانت قد جَرَتْ بين بن لادن نفسه وبين المخابرات الأميركيّة، وإنْ كانت الأخيرة قد نَفَت الخبرَ من أساسه (جملةً وتفصيلاً كما نقول نحن). ومَنْ كان وراء ظاهرة الأفغان العرب؟ وأين كان مَنْ يَذْرف دموعَ التماسيح اليوم على وضع نساء الأفغان بينما ـ ولنعترفْ بصراحة ـ كان النظامُ الشيوعيّ في أفغانستان مسؤولاً عن إقامة حُكْم ذهبيّ لنساء البلاد وإنْ كان الحُكْم بوليسيّاً وقمعيّاً؟

والأصوليّة التي نُصّب عليها بن لادن لها جذور سعوديّة وهّابيّة. وهو في توجُّهه الإسلاميّ لا يَخْتلف إلاّ من حيث دخول القوات الأميركيّة «أرضَ محمد» أثناء حرب الخليج الثانية وبعدها. وقد تتلمذ بن لادن على يد مدرّسي المنهج الوهّابيّ، الذي أقام بنياتِهِ الحديثةَ ذلك الفقيهُ الظلاميُّ عبد العزيز بن باز الذي كان يستشيط غيظًا من هؤلاء الذين يزعمون أنّ الأرض كرويّة، أو من أولئك الذين يزعمون أنّ انسانًا قد هبط على أرض القمر.

طبعًا، الاعتراض الأميركيّ السائد اليوم على الوهابيّة وعلى مدارس الدين الباكستانيّة مرفوض قطعًا. والوقاحة أنّ المعلّقين الأميركيِّين اليوم (المحافظين والليبراليِّين) يَدْعون جهارًا إلى تغيير مناهج التعليم في المدارس الدينيّة الإسلاميّة. حتى إنّ السناتور جو بيدن Joe Biden (وهو رئيسُ لجنة الشؤون الخارجيّة في مجلس الشيوخ الأميركيّ) أدْلى بدلوه في هذا الموضوع بالذات. لكنْ لا نَسْمع أحدًا منهم أبدًا يتدخّل في مناهج التعليم في المدارس اليهوديّة في داخل الولايات المتحدة الأميركيّة ـ واليهوديّةُ والمسيحيّةُ على حدّ سواء لديهما من نماذج عبد العزيز بن باز ما لديهما.

ونحن لا نَعْرف الكثيرَ عن بن لادن وعن عقيدته الدينيّة، وإنْ كانت أحاديثُه الصحافيّة تنمّ عن عقليّة متزمّتة ومتحجِّرة، حتى إنّه لم يتورّع عن تسويغ قتل الأبرياء في حوادث تفجير وإنْ طالت الأبرياء من المسلمين والمسلمات، على طريقة الأزارقة الخوارج. وعلاقة بن لادن بأيمن الظواهري علاقة الضرورة لأنّ بن لادن نجح في إنشاء مأوى للمطرودين والمنبوذين من الأصوليّة الإسلاميّة ـ وهي ظاهرة تتحمّل مسؤوليّتَها الأنظمةُ العربيّةُ نفسُها التي عززتْ من تصرّف منظّمات الأصوليّة عبر ممارساتها القمعيّة وانتشار التعذيب والتمثيل في سجون القمع العربيّة. وأيمن الظواهري نفسُه تعرّض لتعذيب مبرّح. وكان حرّاس السجن يتناوبون على التبويل فوق رأس الشيخ الضرير عمر عبد الرحمن الذي يَقْضي عقوبةَ السجن في الولايات المتحدة. وتطرّفُ الأصوليّات الإسلاميّة نتاجٌ منطقيٌّ، بمعنى من المعاني، لممارسات الأنظمة العربيّة ووحشيّتها. والجماعة الإسلاميّة المسلّحة في الجزائر هي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، نتاجٌ طبيعيٌّ عن حكم الجنرالات وعن إلغاء المسيرة الديموقراطيّة في البلاد. فالأفغان العرب هم هؤلاء الذين لا مأوى ولا ملجأ لهم، وهذا ما يفسّر وصفَهم بالمقاتلين الأشداء.

إنّ التعاطف الذي يُبْديه بعضُ العرب والمسلمين لبن لادن هو تحدٍّ للولايات المتحدة وتعجرفها، أكثر ممّا هو تأييد للفكر الذين يمثّله بن لادن والذي يَعْلم عنه النزرَ القليلَ معظمُ العرب.

وكان يُمْكن الولاياتِ المتحدةَ أن تَسْتفيد من مواقف الاستنكار التي توالت من معظم أنحاء دول العالم الإسلاميّ إثر التفجيرات. لكنّ الحكومة الأميركيّة آثرتْ أن تتّخذ أكثرَ المواقف الاستفزازيّة والانفعاليّة، معتقدةً أنّ زيارة من بوش إلى مسجد في واشنطن أو أنّ الهبات المتناثرة فوق رؤوس الناس من الأرزّ والفاصولياء في أفغانستان من شأنها أن تغيِّر من اتّجاهات الرأي العامّ العربيّ والإسلاميّ.

# . أســـــــعد أبو خـلـيـل .

## عن الإعلام الأميركيّ

والإعلام في هذه البلاد مصاب بالهذيان. وهو مهووس بقناة الجزيرة التلفزيونيّة، وبالأميركيّ - العربيّ اليمينيّ فؤاد عجمي (ولهذا الرجل صداقات مع قيادات حركة «أمل» اليمينيّة)، وبمن يحاول تقليدَه مثل المصريّ مأمون فندي (اليساريّ السابق، اليمينيّ الحاليّ) الذي يسعى إلى إقناع الإدارة الأميركيّة بمقاطعة قناة الجزيرة لأنّها بحسب زَعْمه في مقال طويل في مجلّة **النيويورك تايمز** موالية لبن لادن. والواقع أنّ قناة الجزيرة تفوق من حيث أصول مهنة الصحافة ونواميس الإعلام ما يَجْري في شاشات الإعلام الأميركيّ التي تذكّرنا بنشرات أخبار أنظمة الإذلال العربيّة وبثّها لفتوحات جيوشها المقدامة.

والإعلام هنا تحت سيطرة غير مهذّبة من الحكومة، التي أمرتْه بعدم بثّ صور وخطابات قادة القاعدة حتى لا يؤثّروا في عقول الناشئة ولكي لا يتسنّى لهم بثّ خطابات بالشيفرة إلى عناصرهم، وكأنّ المَشاهد نفسها غيرُ متوفّرة على الإنترنت! والضحايا المدنيُّون والمدنيّات بالمئات، وأخبارُهم في الصحافة الأميركيّة غير موجودة، خلافًا للصحافة الأوروبيّة وهي تفوق في نوعيّتها الصحافةَ الأميركيّةَ الناطقةَ باسم الحكومة في أيّام الحرب.

## والآتي أعظم

والحرب ضدّ الإرهاب جارية، وهي لا مندوحة ستتسع وستطالنا نحن. ومحاولة التطمين من قبل رفيق الحريري وغيره من الحكومات العربيّة ضارّة جداً لأنّها تَنْتهي بخداع الجماهير وبعدم تهيئة الرأي العامّ للآتي، وهو أعظم. وضربُ العراق بات من المسلّمات، ومن المرجّح أن تتولّى الحكومة الإسرائيليّة بعضَ فصول المعركة الأميركيّة ضدّ الإرهاب، حيث تَعْمد إلى ضرب مواقع في سوريا ولبنان، وإلى بدء برنامج اغتيالات قد يعينها فيه أعوانُها وعملاؤها في لبنان.

والحرب ضدّ أفغانستان لن تَنْتهي بانتهاء ضرب كلّ المواقع على الخرائط التي هي في حوزة القوات الأميركيّة. فالحكومة الأميركيّة، ونحن في عهد تجدُّد الاستعمار، ستشكّل الحكومةَ الأفغانيّةَ الجديدة. وهي تتعامل مع البلد الجريح بالصلف التي تعاملتْ به الحكومةُ السوفياتيّةُ أثناء احتلالها. وها هو تحالفُ الشمال ينصّب نفسَه مسؤولاً عن شؤون البلاد، مع أنّه من حيث التوزّع العرقيّ والدينيّ والشعبيّ لا يمثّل مِنْ أهل البلاد أكثرَ ممّا يمثّله حكمُ الأقليّات في مناطقنا. والتحالف الشماليّ مسؤول عن ارتكاب فظائع وجرائم تَغْفرها له الحكومة الأميركيّة، وهي الآمرة والناهية في عالم اليوم. وهكذا، وبصورة بشعة، يهْرع الأخضر الإبراهيميّ - الذي لا رواسب للخجل أو الإباء له - إلى ألمانيا في محاولة لتلميع صورة الحرب الأميركيّة ولتجميع قاذورات حرب الولايات المتحدة. وهل الأمم المتحدة اليوم إلاّ عامل نفايات لدى الإمبراطوريّة الأميركيّة؟

والحرب في أفغانستان بشعة. والبلد في بناه التحتيّة يتعرّض للتدمير. وبقايا القنابل العنقوديّة (اسألوا أهلَ جنوب لبنان عنها) ستلاحِق أطفالَ أفغانستان لسنوات. ونساءُ أفغانستان سيتعرّضن لحكم مجموعات لا تقلّ في تعصُّبها الذكوريّ عن الطالبان. لكنَّ هذه المجموعات أميركيّة الهوى؛ وهذا يَسْمح في هذه الأيام بدخول الجنّة من أوسع أبوابها!

أمّا حكوماتنا فهي تَسْتجدي الرأفة والرحمة من الولايات المتحدة. والعائلة المالكة في السعوديّة، وهي نَعِمتْ بتجاهلٍ لقمعها عبر العقود، تتعرّض اليوم لانتقادات وهجوم لا سابق له. وأنفقتْ سفارتُها في واشنطن الملايينَ لشراء الصفحات في الصحف (بالإضافة إلى شراء الضمائر - اقرأوا الأقلامَ اللاهجةَ بحياة الملك الفهد في صحف السعوديّة). ويحاول حكّامُنا إقناعَنا بأنّهم يحاولون ثنيَ عزم أميركا عن ضرب العراق، لكنّهم

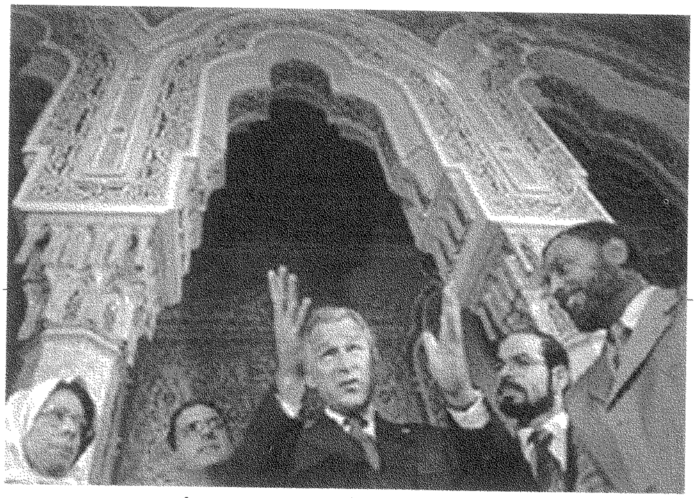

جورج و. بوش يزور مسجدًا في أميركا: على مَنْ يكذب؟

في الحقيقة لا يَسْتجدون إلاّ السماح لهم بالبقاء في عروشهم.

ويمكن تفاؤلاً أن نَنْظر إلى ما يحدث حولنا كمؤشّر لأفول نجم الإمبراطوريّة الأميركيّة: فالحكومة الأميركيّة اليوم، على غرار نابليون، لا تنفكّ عن محاولة السيطرة على كلّ ما يقع تحت الشمس. وهذا إنهاك لقدرات أيّ بلد، بما في ذلك أميركا، وهي تسخّر الموارد والقوى العالميّة لصالحها هي. ويُمْكن العربَ أن يدافعوا عن حقوقهم الاقتصاديّة (حتى لا نقول عن كرامتهم وهي مطمورة تحت براميل من النفط وتحت أحذية جنود البحريّة الأميركيّة المنتشرين في بلادنا) عبر سحب ودائعهم من البنوك الأميركيّة التي أصبحتْ عرضةً لسياسات مفاجئة ولحربهم ضدّ «الإرهاب.»

## خلاصة

يقولون إنّها حربٌ ضدّ الإرهاب. وكنا قد ظننّا أنّ حربهم ضدّ الإرهاب بدأتْ منذ سنوات بل عقود. فهم قصَفوا مدنَنا وقرانا وعواصمَنا من أجل محاربة «الإرهاب.» وهم ناصروا وبحماس شديد حربَ إسرائيل ضدّنا تحت شعار محاربة الإرهاب. وها هي حكومة جورج بوش تبارك، إن لم تَكُن تحثّ، الحربَ الإسرائيليّةَ ضدّ فلسطين تحت شعار محاربة الإرهاب. وقد تمّ حظرُ أكبر منظّمة خيريّة إسلاميّة في الولايات المتحدة تحت عنوان قطع دابر الإرهاب العربيّ والإسلاميّ.

والإمبراطوريّة الأميركيّة ماضية في غيّها، والحكوماتُ العربيّة ماضية في خنوعها وفي ذلّها في تعاملها مع واشنطن. والقيادات العربيّة تجول في الدول الغربيّة كالمهرّجين.

ولبنان هدفٌ لا بدّ من أن يتجلّى أمام طائراتهم وبوارجهم. لكنّ رئيس الحكومة اللبنانيّة مطمئن: لعلّه منتظرٌ الربيعَ الآخرَ، ذلك الربيع الذي طلب من اللبنانيّين انتظارَه منذ سنوات. وحزبُ اللّه هو عنوان فقط للحملة الأميركيّة ضدّ لبنان. ولبنان في تعامله الفظّ والوحشيّ مع المخيّمات الفلسطينيّة يحاول أن يبيِّض صفحتَه مع الغرب ومع قوى «إقليميّة» كما يقولون في تعليقات الصحف اللُّبنانيّة.

والغضب العربيّ مؤجّل. وعازف فرقة البيتلز جورج هاريسون حظي بمساحة واسعة من التغطية في صحف العرب والعالم. والضحايا المدنيُّون (والمدنيّات) في أفغانستان وفلسطين مجرَّد أرقام، لا يحصيها إلاّ المواظب، وتلفزيونُ رئيس الحكومة مشغول بـ «ميشو شو،» والإعلام اللبنانيّ يغطّي الحرب ضدّ أفغانستان وكأنّها موضوعيّاً حربٌ ضدّ الإرهاب. وحدها قناةُ الجزيرة تغطّي الحدث بما يستحقّ من الاهتمام، ووحدها تحصي ضحايا المجازر المستمرَّة في فلسطين.

ويتساءلون دومًا هنا عن سبب كراهيّتنا لهم. لعلّهم اليوم يَعْلمون، ولعلّهم يزدادون كرهًا لنا. لكنّ كراهيتهم لنا مقبولة؛ فلهم وحدهم حقّ الكراهية والبغضاء والتعصُّب والتزمُّت والحنق. أمّا نحن، فما لنا إلاّ انتهاجُ الابتسام وتقديمُ التحيّة لجلاّدينا. ويجب علينا اليوم إلقاءُ التحيّة يوميّاً على كلّ مَنْ يدوس على رؤوسنا بأقدامهم. ومن الممكن أن يُسْمح لنا يومًا بتقبيل أكتاف قامعينا... هذا إذا سُمِح لنا الاقترابُ من حَضَراتهم.

**كاليفورنيا**